مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

الخطاب الديني وثنائياته النظرية والإجرائية

Theoretical and procedural dichotomies of religious discourse

أ. د فضيل دليو
fdeliou@yahoo.fr
جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة 3

تاريخ الإرسال: 2021/07/18 تاريخ القبول: 2021/11/11

I. الملخـــص:

من المهم الإشارة بداية إلى العناصر التاريخية التي تسهم في فهم دور الدين في حياة الناس، إلى جانب العنصر السياسي الذي عادة ما ارتبط به في شكل تعزيزي أو تنافري. وبالطبع، تم تفعيل هذا الدور بخطاب ديني ميزته عدة ثنائيات تعمل على نشر محتويات "دينية محضة" أو "دنيوية من منظور ديني"، وباتجاهين أفقي وعمودي مستهدفة قيم التحلي والتخلي، وذلك بالاعتماد على تقنيين تواصليين وخطباء متخصصين في الدين، وعلى وسائل وفضاءات تقليدية وحديثة عمومية وخاصة، ولتأدية وظائف إقناعية عاطفية وعقلانية، وبمحددات وضوابط مهنية وأخلاقية، وبأساليب الترغيب والترهيب، وباتجاه جمهور عام وخاص... هذه بعض أهم محددات الثنائيات النظرية والإجرائية للخطاب الديني التي سيتم عرضها في هذا العمل مع أمثلة واقعية من الخطاب الديني عموما والإسلامي خصوصا.

الكلمات المفتاحية: الدين؛ الخطاب الديني؛ الثنائيات النظرية والإجرائية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

I. ABSTRACT :

First, it's important to point out the historical elements that contribute to understanding the role of religion in people's lives, as well as the political element with which it has usually been associated in a reinforcement or antagonistic form. Of course, this role has been activated by a religious discourse characterized by several dichotomies that work to spread "purely religious content" or "worldly content from a religious perspective", and in two directions, horizontal and vertical, targeting the values of adornment and abandonment, by relying on communicative technicians and preachers specialized in religion, and on traditional and modern means and spaces, public and private ones, and to perform emotional and rational persuasive functions, with professional and ethical orientations and determinants, and with methods of carrot and stick, and towards a public and private audience… These are some of the most important determinants of theoretical and procedural dichotomies of religious discourse that will be presented in this work with some real examples of religious discourse in general and Islamic discourse in particular.

Keywords : Religion**;** Religious discourse**;** Theoretical and procedural dichotomies.

1. المقدمـــة

تهتم بعض تخصصات العلوم الاجتماعية بدراسة الخطاب الجماهيري –ومنه الخطاب الديني– بالاعتماد على مساهمات إثنوميتودولوجية خاصة بـــ"تحليل المحادثة" وأخرى بنائية لغوية مرتبطة بآراء "فوكو" (Foucault) و"هابرماس" (Habermas)

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

و"ديريدا" (Derrida)...[1] ، وكذا على مساهمات دينية متخصصة وبلغات عدة يستعان بها في تكوين ممارسي الخطاب الديني بدافع شرعي وأكاديمي.

ولفهم دور الدين في حياة الناس كرسالة سماوية عامة تدعوهم لعبادة الله وتعزز إيمانهم وتدعوهم لنشر تعاليم دينهم من المهم الإشارة بداية إلى العناصر السياسية والنفسية والاجتماعية التي تسهم في ذلك. فمنها العنصر السياسي الذي عادة ما ارتبط بالدين في شكل تعزيزي أو تنافري. وهناك عنصر آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار وهو "الإقناع" ببعديه العاطفي والعقلي كمحرك نفسي–اجتماعي أساسي للنشاط الديني. إنه عبارة عن عملية استخدام لشحنات عاطفية ولرموز عقلية تستهدف إحداث تأثيرات وجدانية وفكرية وسلوكية في أشخاص آخرين. فهو عملية مصممة لتغيير المواقف أو السلوكيات نحو الأحداث والأفكار والمعتقدات والأشياء والأشخاص... وتخضع هذه العملية لعنصر آخر يتمثل في مدى استعداد الجمهور لتلقي الخطاب الديني والتأثر به، أي أن يكون منفتحا على التفاعل والتغيير. ويتوقف ذلك على عدة عوامل ذاتية واجتماعية، منها الحالة التي يكون عليها والظروف المحيطة به واحتياجاته وطرق تفكيره... مما عجّت به نظريات الإعلام والاتصال حول محددات التأثير الشخصي والاجتماعية والمباشر والوسيطي.

وبالطبع، يمكن تفعيل دور الخطاب الديني بالعمل على نشر محتويات "دينية محضة" أو "دنيوية من منظور ديني"، وباتجاهين أفقي وعمودي مستهدفة قيم التحلي

[1] - Wuthnow, Robert. (1992). Rediscovering the sacred : Perspectives on religion in contemporary society. Michigan : William E. Eerdmans Publishing Company. Available on:
https://www.religion-online.org/book-chapter/chapter-3-religious-discourse-as-public-rhetoric/. Retrieved on 16 7 2021

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

والتخلي، وذلك بالاعتماد على تقنيين تواصليين وخطباء متخصصين في الدين، وعلى وسائل وفضاءات تقليدية وحديثة، محلية وعالمية، عمومية وخاصة، ولتأدية وظائف إقناعية عاطفية وعقلانية، وبمحددات وضوابط مهنية وأخلاقية، وبأساليب الترغيب والترهيب، وباتجاه جمهور عام وخاص قد يرغب في تفعيل دنياه وضمان أخراه...

هذه بعض أهم محددات الثنائيات النظرية والإجرائية للخطاب الديني التي سيتم عرضها في عملنا هذا بالاعتماد على مراجعة بعض الأدبيات المتخصصة العربية والأجنبية، وذلك مع إشارات موضعية لبعض خصائص الخطاب الديني عموما والإسلامي خصوصا لكن من دون القيام بمقارنات تطبيقية من التي تستلزم دراسات أكثر تفصيلا.

ولكن قبل ذلك تجدر الإشارة إلى تعريف الخطاب الديني بعد إحاطة مفهمية موجزة بعنصريه: الخطاب والدين.

2. تعريف الخطاب الديني

إن تعريف "الخطاب الديني" يستلزم بداية تعريف كل من "الخطاب" و"الدين":

1.2. تعريف الخطاب

الخطاب في اللغة مصدر خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة. وهو يعني: "الكلام بين اثنين" عند "ابن فارس"[1] أما عند "ابن منظور"[2] فهو يعني مراجعة الكلام والفصل بين الحق والباطل شفهيا أو كتابيا بغية إقناع الناس. وفي القرآن الكريم ورد بمعنى توجيه الكلام: "قال فما خطبكم أيها المرسلون" (الذاريات: 31).

[1]– ابن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة، 198/2، بيروت: دار الفكر.

[2]– ابن منظور. (2010). لسان العرب: 361/1، بيروت: دار صادر.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

أما المعنى الاصطلاحي للخطاب فهو أكثر اتساعا بحيث أصبح يتعدى الكلام العفوي المواجهي الشفاهي إلى الممارسات اللغوية المطبوعة والمسموعة والفيديوية في سياق واقعي اجتماعي محدد بغرض التأثير. وقد تخص هذه الممارسات المحددة زمنيا ومكانيا عدة مجالات، ولذلك تفرض طبيعة استخدام "الخطاب" تخصيصه بصفة ما. فيقال الخطاب الشبابي، السياسي، الاقتصادي، العسكري، الإعلامي، الفلسفي، الديني... ومنه محور موضوعنا الحالي: الخطاب الديني.

وفي هذا السياق، يعرّف "ج. م. آدم" (Adam, J. -M.)[1] الخطاب بأنه كلام يمكن وصفه بخصائص نصّية، ولكنه يعتبر قبل كل شيء فعلا خطابيا يتم في سياق معين (مشاركون، مؤسسة، مكان، زمان)؛ أي يمكن تشخيصه في مفهوم "السلوك اللغوي" باعتبار هذا الأخير ممارسة خطابية في موقف معين.

ومن جهته يشير "مانغنو" (Maingueneau)[2] إلى عدة سمات أساسية للخطاب تتمثل أهمها في كونه فعلا إراديا يستهدف التأثير في المخاطب، وهو تفاعلي ومرتبط بسياق معين وبمعايير معينة تبرر تقديمه.

وقد تتجاوز مكونات الخطاب البنائية الثلاثية التقليدية في عناصر التواصل: المرسل والرسالة والمستقبل، حيث يقول الفيلسوف "ب. ريكور" (Ricoeur) أن الخطاب يشير دائما إلى وجود "شخص يقول شيئا لشخص آخر حول موضوع ما"[3]،

[1]–Adam, Jean -Michel. (1990). Éléments de linguistique textuelle : Théorie et pratique de l'analyse textuelle, Bruxelles/ Paris : Ed. Mardaga, p. 23.

[2]–Maingueneau, D. (1998). Analyser les textes de communication, éd. Dunod, pp.38-41.

[3]–Castillo, Carolina Neira. (2004). El discurso religioso un discurso simbólico. In:
http://repositorio.uchile.cl/bitstream/handle/2250/110115/..., p.10

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

مع إمكانية إثراء هذه العناصر الأربعة بإضافة عناصر أخرى مثل الوسيلة والأثر ورجع الصدى والمحددات الظرفية للخطاب وللمتخاطبين (السياق)...

2.2. تعريف الدين

الدِّين أو الديانة في اللغة من الفعل الثلاثي "دان"، وهو تارة يتعدى بنفسه وتارة باللام وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به، فإذا تعدى بنفسه يكون (دانه) بمعنى ملكه وساسه وقهره وحاسبه وجازاه. وإذا تعدى باللام يكون (دان له) بمعنى خضع له وأطاعه. وإذا تعدى بالباء يكون (دان به) بمعنى اتخذه دِيناً ومذهباً واعتقده. وهذه المعاني اللغوية للدّين موجودة في المعنى الاصطلاحي[1].

ولقد ورد في مادة دين من لسان العرب لابن منظور (الجزء 6) أن من أسماء الله الحسنى (الديّان) أي الحكَم القاضي. وهو الله المعبود في الديانات السماوية الحقّة.

وإذا كان الدين لغة واصطلاحا يشير –كما سبق ذكره– إلى اعتناق مجموعة من المعتقدات المتعلقة بخضوع العابد للمعبود والتسليم بأوامره ونواهيه قولا وفعلا سواء أكان ذلك عن حق أو عن باطل[2]، فإننا نحصره هنا –تبعا لما اشتهر ذكره في القرآن الكريم– فيما يسمى بـــ"الديانات السماوية" المعاصرة والتي تم تلقيها عن طريق الوحي الإلهي: اليهودية والنصرانية (من "أهل الكتاب") والإسلام، بمحتوياتها العقدية والتشريعية والأخلاقية، والمتميزة باختلافاتها من حيث "صدق النقل وثباته" عن الكتب السماوية

[1]– الخلف، سعود بن عبد العزيز (2006). دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. الرياض: أضواء السلف للنشر والتوزيع. ص. 09.

[2]– فقد ورد في القرآن ما يدل على أن الدين قد يكون غير ناتج عن شرع إلهي مُتلقّى عن طريق الوحي، قال تعالى: "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" (آل عمران: 85)، وقال عز من قائل: "لكم دينكم ولي ديني" (الكافرون: 6).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

الثلاثة (التوراة والإنجيل والقرآن) والبنية والانتشار. ويمكن الرجوع إلى المصادر المتخصصة لمعرفة خصائص كل منها. أما "الأديان غير السماوية" وأشهرها في الوقت المعاصر: "الهندوسية والبوذية" فهي أديان شِركية تدعو صراحة إلى عبادة غير الله، تعالى عن ذلك.

3.2. تعريف الخطاب الديني

يمكن القول على العموم أن الخطاب الديني عبارة عن تفاعل اجتماعي مرتبط بالدين، وهو يستهدف بكل أشكاله (الفقهية والأدبية والإعلامية...) تبليغ محتويات دينية محضة أو دنيوية من منظور ديني. ومنها القراءة العلنية للنصوص الدينية وتفسيرها والصلاة والخطبة والموعظة والمناظرة والمناقشة والأناشيد والمدائح...

إن هذا البعد "التبليغي" أو "التواصلي" للخطاب الديني جعل بعض الكتاب المسلمين[1] يعتبر مفهوم الخطاب الديني (الإسلامي) مرادفا لمفهوم الدعوة الإسلامية أو الاتصال الدعوي.

ولا بد من الإشارة هنا إلى ما يأتي:

أولا) أن الخطاب الديني شامل ببعديه "الديني المحض" و"الدنيوي من منظور ديني" لجميع مناحي الحياة.

ثانيا) أن الخطاب الديني ليس المقصود به نصوص الوحي من القرآن والسنة عند المسلمين ونصوص الكتب المقدسة لدى غيرهم من أتباع الديانتين السماويتين الأخريين، إنما المقصود به "خطاب المنتمين إلى دين" سماوي معين.

[1]– حجاب، محمد منير (2004). تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، القاهرة (مصر): دار الفجر للنشر والتوزيع، ص. 24.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

ثالثا) أن طبيعة هؤلاء المنتمين المنتجين للخطاب الديني قد يكونوا من عامة الناس أو من خاصتهم من حيث مستوى التفقه في الدين، شريطة أن يكون ذلك دائما بدافع ديني. ففي الإسلام، نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: "بلّغوا عنّي ولو آية..."[1].

ولذلك نجد من ينعت مختلف أشكال الخطاب الديني بنعوت إيجابية (تجديدي، نهضوي، تنويري، حكيم، معتدل...) أو سلبية (متجمد، متهور، متطرف...) تبعا لمدى حصافة وصدقية تلك المستويات والخطابات... فهي قابلة للدراسة والنقد كممارسات خطابية واقعية مهما كان مستوى أصحابها، لأن ذلك يساعدنا في فهم واقع مجتمعاتنا وفي تصور استراتيجيات إصلاحها.

وبالطبع هناك من الكتّاب المسلمين من يؤيد ذلك[2] ومنهم من يخالفه، فيجعل الخطاب الديني (الإسلامي تحديدا) "محصورا في خطاب من هو أهل لأن يجتهد في بيان شرع الله. فكل خطاب إسلامي يصدر من غير أهل الاجتهاد، لا يجوز أن يسمى إسلاميا ولا يجوز أن نحمّل الإسلام أخطاء العوام في ممارستهم للدين أو فهمهم له"[3].

نعم، ولكن الهدف ليس تحميل الإسلام أخطاء العوام بل دراسة خطاب العوام المنتج بدافع ديني لتحسين خطاب الخواص نفسه تجاههم ولإصلاح أحوالهم.

---

[1]– البخاري، عبد العزيز بن أحمد (2002). صحيح البخاري. دمشق: دار ابن كثير.

[2]– الشمري، رؤوف أحمد محمد (2010). "الخطاب الديني بين سلبية الجمود وضرورة التجديد"، جامعة الكوفة، مجلة كلية الفقه. م.1، ع.10. ص ص. 40–62.

[3]– السلمي، عياض بن نامي (2010). تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه. كلية دار العلوم، جامعة الفيوم بمصر.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

والأمر نفسه بالنسبة لبعض النصارى مثلا، من الذين يحصرون الخطاب الديني في الصادر عن سلطة دينية (الكنيسة) أو عن عضو في جماعة دينية[1].

وفي نهاية هذا العنصر تجدر الإشارة إلى أن من أهم ملامح الخطاب الديني أنه رمزي بامتياز، مع الميل نحو تغليب الشحنة العاطفية (خاصة مع عامة الناس) والاعتماد أكثر على حاسة السمع... فالرموز والشعارات والبعد السمعي كلها عناصر تخدم البعد العاطفي في الخطاب الديني.

وهو أمر مختلف حوله طبعا عند المفكرين المسلمين كما عند "رجال الدين" النصارى أو "حاخامات" اليهود: بين أنصار الخطاب العقلي وأنصار الخطاب العاطفي، أنصار كل من الخطاب المكتوب، المسموع، السمعي البصري والإلكتروني. فمثلا، يرى "القديس أوغسطينوس" أن جميع الأعضاء الحسية (وخاصة حاستي السمع والبصر) معنية على حد سواء بالخطاب الديني، بينما يعطي "القديس برنارد دو كليرفو" الأولوية لحاسة السمع، لأنه من خلالها تخترق الكلمة القلب (فالحشود تجمعها الأصوات) مما قد يمثل شعار جميع الإذاعات الدينية، سواء كانت لمسلمين أو مسيحيين أو يهود[2]. من هذا الموقف تنبع الدعوة إلى الزهد الجذري المطبق على العمارة السستارية (عند النصارى) والعمارة المسجدية عند المسلمين الأوائل، بحيث لا يسمح للزخرفة التزيينية والنحت أو الأثاث، بصرف الانتباه إلى العين فيؤثر بذلك في صدى صوت الكلمة الدينية[3].

[1]– Richard Damián Vargas López (2016). El discurso religioso en la misa católica como forma de control (Análisis del discurso). p. 5

[2]–Gérard Chandès. (2013). «Stations de radio confessionnelles», Commu -nication [En ligne], Vol. 31/1 |

[3]- Larcher, Hubert (2003). L'acoustique cistercienne et l'unité sonore, Méolans-Revel, Désiris.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن الخطاب الديني يختلف باختلاف الأديان وحتى بين مختلف مذاهب الدين الواحد. فمثلا نجد الجهد الإعلامي النصراني يختلف بين الكاثوليك والبروتستانت، فالأول يركز أكثر على الإعلام المكتوب والثاني على الإعلام الإذاعي[1]، مع تميز عام ببرامج تقليدية غير إبداعية (قراءة نصوص من الإنجيل وتأملات وأدعية). والأمر نفسه يمكن ملاحظته بالنسبة للجهد الإعلامي بين السنة والشيعة مثلا، فالثاني أكثر اهتماما بالسمعي البصري (الأفلام خاصة)، مع قلة البرامج الإبداعية وتركيز كليهما على محور الفتاوى وفي الفترة الأخيرة على الاختلافات والخلافات بينهما بدوافع سياسية في الغالب.

3. أنواع الخطاب الديني

يمكن تصنيف الخطاب الديني تبعا لعدة مؤشرات يمكن حصرها تبعا لـــ"ج. بينيدا"[2] في اثنتين: المحتويات والبنية. مع إمكانية إضافة مؤشرات أخرى مثل وسائل التبليغ، والإشارة إلى اختلاف مكوناتها باختلاف الأديان والمذاهب الدينية.

1.3. أنواع الخطاب **تبعا للمحتويات** (**الموضوعات**): عادة ما يصنف الخطاب الديني في الإسلام إلى خطاب حول: العقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات. وأما في النصرانية مثلا، فيصنف الخطاب الديني عادة إلى خطاب عقائدي وتبريري وأخلاقي واجتماعي وتاريخي وتعبدي وتنصيري.

2.3. أنواع الخطاب **تبعا للبنية:** قد يصنف إلى موضوعاتي ونصي وعرْضي (وصفي– تفسيري).

[1]–Raigón Pérez de la Concha, Guillermo (1998). Estructura de la información en la iglesia católica, Universidad Murcia (España), p.132

[2]–Gabriela Pineda. (22/8/2013). Discurso Religioso, In : https://prezi.com/rzjpb3v6nj1g/discurso-religioso/.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

3.3. أنواع الخطاب **تبعا لوسيلة التبليغ:** يمكن تصنيفه إلى خطاب شفاهي وكتابي وسمعي و/أو بصري وإلكتروني. ومهما اختلفت وسيلته فمما قد يزيد من فاعليته أن يكون عاطفيا (في بعض محطاته: الكلام من القلب يصل إلى القلب)، ومرجعا (مدعما بنصوص دينية)، وصادرا عن مرسل ذي مكانة مجتمعية وثقة معتبرة لدى الجمهور...

4. أهم ثنائيات الخطاب الديني النظرية والإجرائية

يلعب الخطاب الديني بمختلف أشكاله دورا معتبرا في حياة الناس. ويتم تفعيل هذا الدور بعدة رافعات يتجاذبها عادة محوران متقابلان يجب العمل على تقدير وزن التدخل المناسب لكل منهما في كل مرة، لأن ذلك يخضع عادة لظروف إنتاج الخطاب ولأهدافه ولجمهوره.

وفيما يلي عرض لأهم هذه الثنائيات المحورية باعتبارها من الخصائص المساعدة على نجاح الخطاب الديني، مع تحديد –عند كل ثنائية– كون مقودها **تراكميا** (يجمع بين حدي الثنائية)، **تفضيليا** (حسب أولوية إحداهما) أو **وسطيا** (يتوسط الثنائية)، وذلك بغض النظر عن كونها نظرية أو إجرائية لتلازم الصفتين **باعتبار الخطاب عملية وليس نتاجا** ثابتا:

1.4. الخطاب الديني كعملية منتجة لمحتويات "دينية محضة" أم "دنيوية من منظور ديني"؟: تبعا لتعريفنا له فيما سبق فهو يجمع عادة بينهما، ولكن غلبة الاستعمال تتحكم فيها نوع المرجعية الدينية (إسلامية، مسيحية، يهودية)، وطبيعة موضوع الخطاب ونوع الجمهور المستهدف والسياق المجتمعي الظرفي والمرسل... ومعارف دينية ولغوية وقدرات عقلية وتأويلية للخطيب لينتج خطابا دنيويا من منظور ديني أو خطابا يعبر عن فكر متعدد ذي مرجعية دينية وليس عن خطاب ديني محض. كما أن الشائع في ثقافتنا الدينية غلبة البعد الدنيوي في الديانة اليهودية التي نزلت في وقت كانت فيه الحاجة إلى

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

الأمن والطعام ملحة مع قيادة المحسوسات والماديات لحياتهم، والبعد الأخروي والرهبنة في الديانة النصرانية، والجمع بينهما في الإسلام (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا...) (القصص:من الآية 77).

2.4. الخطاب الديني عالمي أم محلي/ خاص؟: بالنسبة للخطاب الإسلامي فهو بحكم عالمية دعوته موجه للناس كافة وليس لفئة معينة: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: 107). وبالطبع تختلف خصائصه ومحدداته الإقناعية باختلاف محلية الجمهور المستهدف أو عالميته، مع وجود مشتركات بينهما. والأمر نفسه تقريبا بالنسبة لما هو ممارس في الديانة النصرانية لأنها تعتبر ديانة تبشيرية يوجه خطابها التنصيري وجوبا لجميع البشير، وذلك بخلاف الديانة اليهودية اليوم التي لا تدعو الآخرين للانتماء إليها لاعتقاد اليهود بأنهم شعب الله المختار والشعب الوحيد الحامل للرسالة.

3.4. الخطاب الديني كعملية باتجاه أفقي أم عمودي؟: الأصل أن له اتجاهين: بمعنى أنه قد يكون عموديا: بين العبد وربه (مناجاة، دعاء...)، ومن هيئة دينية ما نحو عامة الناس (وعظ، إرشاد، فتوى...) أو العكس (تساؤلات، ردود فعل...)؛ وقد يكون أفقيا بين أعضاء هيئة دينية أو بين عامة الناس (حوار، نقاش...).

فالعلاقة في الخطاب غير الديني تكون عادة متبادلة أفقيا بين قطبين: المرسل والمستقبل. ولكن عندما يتولى المرسل المسؤولية عن الرسالة الدينية تجاه ربه أو تجاه العباد، يكون التواصل في اتجاهين وبين ثلاثة أطراف: الله جل جلاله، والعالم/ الخطيب الفقيه أو الحاخام اليهودي رجل الدين عند النصارى (الذي قد يعتبر وسيطا وذلك بخلاف العالم عندنا) وعامة الأتباع. هذه الثلاثية لها بعدان عموديان (العلاقة بين العبد – العالم والعامة معا– وربه أو بين الخطيب وجمهوره) وبعد أفقي بين البشر حين يتخاطبون في مستوى واحد: عام أو متخصص.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

4.4. الخطاب الديني كعملية مادتها ثابتة أم متغيرة؟: إنه في الغالب خطاب متجدّد ومتنوع (متغير) تبعا للنوازل والسياقات التاريخية والمجتمعية والمصالح المرسلة، معتمدا في ذلك طبعا على الثوابت النصية من التي تتميز بقطعية الثبوت والدلالة والمحكم من النصوص عند المسلمين، ومن ما ورد في النصوص المقدسة للنصرانية واليهودية من دون تقدير لقطعية ثبوتها. وبالطبع يتراوح مدى الالتزام بحديْ الثابت والمتغير في الخطاب الديني تبعا للمذاهب والفرق الدينية بين أهل العقل وأهل النقل والمحافظين والإصلاحيين ضمن نطاق كل ديانة من الديانات السماوية الثلاث.

5.4. الخطاب الديني كعملية تستهدف قيم التخلي أم التحلي؟: عند بعض المسلمين (المتصوفة خاصة) من الذين يدعون إلى "التخلية" قبل "التحلية" دائما "حتى لا يمتزج الخير المقبَل عليه بالشرّ **المزروع**". ويفضل بعضهم الآخر (أهل السنة والجماعة) استعمال أولويات أخرى تقدم عادة القيم الإيجابية ومنها تقديم التحلي قبل التخلي والأمر بالمعروف على النهي عن المنكر (في الآية 114 من "آل عمران")، وخطاب السنة النبوية الذي يستعمل أساليب الترغيب والترهيب، مع تقديم الأولى على الثانية شكلا ومضمونا، فالنفس البشرية قد تميل بطبعها إلى الاستماع أكثر إلى من يبشرها بنيل الثواب وييسر لها أمور دينها ودنياها: "يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا" (حديث متفق عليه) و"سدّدوا وقاربوا وابشروا"[1]. مع الإشارة طبعا إلى ضرورة المحافظة على التوازن بين الجانبين كمنهج وسط، وإن تم البدء بالترغيب فيجب استكماله بالترهيب، كما قد يراعى في ذلك أحوال الناس وطبيعة نفس المستقبِل التي تستجيب أكثر لأحد الأسلوبين. وبالطبع، فإن مثل هذه المحددات تُراعى عند اليهود والنصارى مع غلبة الأبعاد

[1]– مسلم، بن الحجاج (2006). صحيح مسلم. الرياض: دار طيبة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

الترغيبية والإغرائية عند رجال الدين النصارى على الأبعاد الترهيبية تبعا لمعتقدهم الكنسي الخاص بيسر الغفران أو الاعتراف على يد القساوسة (وكلاء الله في الأرض) بأن المسيح المخلص يتحمل عن أتباعه عبء جميع الذنوب فهو غافرها بفعل موته مصلوبا!، وهو مما يقلل من جدوى استعمال الترهيب الأخروي.

6.4. الخطاب الديني كعملية تعتمد على تقنيين تواصليين **أم خطباء** متخصصين في علوم الدين؟: الأصل الجمع بين أهل الاختصاص في المجالين الفني والشكلي من جهة، وفي مجال المضمون من جهة ثانية، في عالم مُرقْمن ومن دون حدود.

7.4. الخطاب الديني كعملية عمومية أم خاصة؟، ويعتمد على الدعم المالي العمومي أم الخاص؟: يعتمد على كليهما على أن يكونا غير مشروطين، بالإضافة إلى الاعتماد على الاشتراك، وبنسبة محدودة على إشهار غير مورّط أخلاقيا لا من حيث محتواه (نصّا وصورة) ولا من حيث شروط قَبول عرضه. ويكون ذلك بالطبع متأثرا بطبيعة الأنظمة السياسية الحاكمة في كل بلد.

8.4. الخطاب الديني لتأدية وظائف إقناعية عاطفية أم عقلانية؟: لكل مقام مقال ولكل جمهور مداخله الإقناعية: فالأساليب الإقناعية العقلية (مثل تقديم الأدلة والبراهين والأمثلة الواقعية، عرض جانبيْ الموضوع، الإحصاءات والحقائق العلمية...) قد تفضل مع جمهور نخبوي و/أو مع المشككين والمناظرين...

والأساليب العاطفية (مثل استخدام الأساليب اللغوية والشعارات والرموز، وغريزة القطيع، زيادة نغمة الصوت، رفع اليدين، البكاء...) قد تستعمل مع عامة الناس ومع الأنصار ولتعزيز الانتماء...

9.4. الخطاب الديني بمحددات وضوابط مهنية و/أو أخلاقية؟: المعروف عند المسلمين أن الغاية لا تبرر الوسيلة، فالضوابط المهنية المعاصرة (في مجال الأساليب

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

الإقناعية والتنافسية مثلا) متّبعة ما لم تتعارض مع الضوابط الأخلاقية. وبالطبع يكون الجمع بينهما أفضل لأن البعد الأخلاقي مجمّل ومحبّب للخطاب المهني. فالحكمة يجملها حسن الخطاب ورقته: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" (النحل: 125)، وهو أمر يفترض أن يخص كل الديانات. كما ينص الإسلام على أن "لا إكراه في الدين" (البقرة: 256). وبالنسبة للخطاب النصراني، فقد دعا المجلس العالمي للكنائس[1] إلى عدم استعمال بعض الأنشطة غير الأخلاقية في الجهود التنصيرية مثل الاستهزاء بمعتقدات وممارسات الفرق النصرانية المخالفة أو الديانات الأخرى، أو استعمال العنف الفيزيقي والسلطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو استغلال حاجات الناس المادية والتعليمية... وذلك تجاوبا مع بعض الانتقادات الموجهة للأنشطة الكنسية التنصيرية في بعض الدول الفقيرة وفي أوساط المهاجرين المعوزين.

10.4. الخطاب الديني كعملية تستهدف تفعيل دنيا المرسل والمستقبل أم الدعوة لضمان أخراهما؟: الأصل الجمع بينهما، مع الاهتمام بدايةً بالنوع الأول مع جمهور المخاطبين، وحسن اختيار الوسيلة، مما يؤثر إيجابا على النوع الثاني. ولكن قد يعكس ذلك في بعض الحالات فيتم البدء بتوجيه الخطاب نحو التركيز على البعد الأخروي مع المتقدمين في السن مثلا.

11.4. الخطاب الديني كمنتج يعتمد على مهنيين أم على متطوعين؟: يفضل تبني طريقة تسيير تعتمد عدديا على حدّ أقصى من المتطوعين المدربين وحدّ أدنى من

[1]–Gros, Jeffrey; Meyer, Harding; Rusch, William G.. (2000). Growth in Agreement II : Reports and Agreed Statements of Ecumenical Conversations on a World Level, 1982-1998. Faith and order paper Vol 187. WCC Publications. P. 895.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

المهنيين لتغطية برامج محددة... فقوة دافعية المتطوعين عادة ما تكون مفعِّلة نفسيا للخطاب.

12.4. الخطاب الديني موجه لتسويق الذات –قولا وفعلا– **أم لانتقاد الآخر؟:** يفضل الجمع بين الاثنين مع تقديم النوع الأول على الثاني –الذي يعتبره البعض تقليديا ومنفّرا–، لأن تسويق الذات يندرج ضمن ما يسمى بـــ"الاتصال بالفعل" أو الإقناع بالقدوة وهو أجدى وأبعد أثرا وتشجع عليه معظم نظريات الإقناع في علم النفس الاجتماعي. وعلى كل، فالأمر يتطلب في الحالتين السعي إلى فهم خطاب الآخر لتكييف طبيعة الخطاب تبعا لذلك.

13.4. الخطاب الديني كعملية تعتمد على وسائل وفضاءات تقليدية وحديثة. إن ممارسة الخطاب الديني في المساجد ومن خلال أشرطة سمعية وكتيبات وعبر الصحافة المطبوعة وباقي وسائل الإعلام والاتصال التقليدية أصبح غير كاف بحكم محدوديته الجماهيرية كمّا ونوعا. حيث أصبح من الضروري الاستفادة من ما تتميز به الانترنت ممثلة بمواقع التواصل الاجتماعي خاصة (الفايسبوك واليوتيوب...) من قلة كلفتها وسهولة استعمالها، وانتشارها الواسع وقدرتها على الوصول إلى الملايين في كل مكان من العالم وخاصة الشباب منهم. إن "المتأمل لمختلف مضامين مواقع التواصل الاجتماعي خلال السنوات الأخيرة يلحظ عودة وحضور الدين مجددا، وذلك من خلال مساهمة مختلف الأديان نشر خطابها عبر صفحات ومواقع خصصتها لإبراز رسالتها، والدعوة إلى عقيدتها، والرد على مخالفيها، ومرد ذلك البعد عن الرقابة الحكومية، ما أتاح لها هامشا من الحرية دعتها للتحرك فتمكنت بذلك من نقل الأفكار والأيديولوجيات"[1].

[1]- رقاد، حنان؛ حمديني، ابتسام؛ السباعي، محمد. (2018). "آثار انتقال الخطاب الديني إلى الفضاء العام عبر مواقع التواصل الاجتماعي". مؤتمر علمي دولي حول: تجديد الخطاب الديني

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

14.4. الخطاب الديني بين موقف الخطيب وممارساته الشخصية. حيث يجب الجمع بين القول والفعل فلا يحدث مثلا أن يعارض الخطيب في خطبته تعليم البنات ويرسل بناته إلى المدارس لأن ذلك يؤثرا سلبا على فاعلية الخطاب في هذا لموضوع بل في غيره من المواضيع لارتباط مكانة الخطيب وصورته لدى المخاطب بثقة هذا الأخير بخطابه.

15.4– ثنائيات أخرى: لا يمكن في هذا المقام حصر كل الثنائيات التي قد يتميز بها الخطاب الديني. وسيتم الاكتفاء في الأخير بتعداد بعض ما علق في خلفيتنا الثقافية من ما تم الاطلاع عليه سابقا:

– الخطاب الديني بين المبادرة ورد الفعل: خطاب فاعل أم منفعل أم جامع بينهما؟.

– الخطاب الديني باتجاه جمهور عام أم خاص.

– الخطاب الديني في الفضاءات الدينية وخارجها.

– الخطاب الديني الفردي والجماعي كمنتج محلي أم عالمي؟

– الخطاب الديني كعملية تعتمد على النقل والعقل معا.

– الخطاب الديني بين النص والواقع.

– الخطاب الديني بين الظاهري والرمزي.

– الخطيب الديني بين مخاطر حب الاختلاف والاكتفاء بالائتلاف.

الخ.

ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب: 8-2018/10. الجامعة الإسلامية- غزة، كلية الشريعة والقانون. ص ص.234-235.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

5. الخاتمـــة

تجدر الإشارة في الأخير إلى اعتبار مقاربة خصائص الخطاب الديني من خلال العديد من الثنائيات الملازمة له، مجرد تمهيد لدراسة تفصيلية لكل منها بغية تقديم مقترحات عملية حصيفة وناجعة. ويبدو، من جهة أخرى، أن الخطاب الديني لدى أتباع مختلف الديانات لم ينل حقه من الدراسات الأكاديمية المتخصصة وخاصة في مجال تحليل مضامينه لتقديم مقترحات تساهم في تفعيل تواصله مع جماهيره المختلفة وفي دعم جهود إصلاح مجتمعات معاصرة تطغى عليها روح الأنانية والفردانية والمصالح المادية وضعف ضوابط الحدود الجغرافية واللغوية في عالم مرقمن.

وإذا كانت المقاربة التحليلية لهذا النوع من الخطاب لم تدعم مبكرا بقواعد منهجية خاصة فإن "تحليل الخطاب" كتخصص منهجي أكاديمي جديد ظهر في الستينيات من القرن الماضي[1]، أصبح استخدامه اليوم شائعا في معظم تخصصات العلوم الاجتماعية وذلك بفضل تطبيق شبكات تحليلية موضوعها الخطاب في العديد من البحوث. مما يشجع على تطبيقها في مجال الخطاب الديني وخاصة في محيطنا الحضاري.

وعليه فالمتوقع من القائمين على مؤسسات الخطاب الديني في بلادنا أن يكونوا خير خلف لخير سلف، وأقربهم زمنيا وأبرزهم تاريخيا خطباء وإعلاميو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين تمكنوا حينها من زرع بذور قيم دينية ولغوية وتاريخية في تربة مجتمعية احتضنت لاحقا ثورة تحريرية ذات أبعاد إقليمية وعالمية. فمجتمعاتنا الحالية بأمس الحاجة إلى حاضنة وتربة وبذور نافعة أينما حلّت نفعت.

[1]–Charaudeau, P. & Maingueneau D. (2002). Dictionnaire d'analyse du discours, Paris : éd. Seuil, pp. 187-190.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

6. المراجـــع

– القرآن الكريم برواية حفص

– ابن فارس، أحمد. (1979). معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر.

– ابن منظور، محمد. (2010). لسان العرب، بيروت: دار صادر.

– البخاري، عبد العزيز بن أحمد (2002). صحيح البخاري. دمشق: دار ابن كثير.

– حجاب، محمد منير (2004). تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، ط1، القاهرة : دار الفجر للنشر والتوزيع.

– مسلم، بن الحجاج (2006). صحيح مسلم. الرياض: دار طيبة.

– رقاد، حنان؛ حمديني، ابتسام؛ السباعي، محمد. (2018). "آثار انتقال الخطاب الديني إلى الفضاء العام عبر مواقع التواصل الاجتماعي". مؤتمر علمي دولي حول: تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب: 8–2018/10. الجامعة الإسلامية– غزة، كلية الشريعة والقانون. ص ص. 227–242.

– **الخلف، سعود بن عبد العزيز (2006). دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. الرياض: أضواء السلف للنشر والتوزيع. متوافر عبر موقع: https://al-maktaba.org/book/11183/6**

– السلمي، عياض بن نامي (2010). تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه. كلية دار العلوم، جامعة الفيوم بمصر. في:

http://www.alsulami.org/sites/default/files/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A.pdf

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

– الشمري، رؤوف أحمد محمد (2010). "الخطاب الديني بين سلبية الجمود وضرورة التجديد"، جامعة الكوفة، مجلة كلية الفقه. م.1، ع.10. ص ص. 40–62. في: https://www.iasj.net/iasj/article/58524

-Adam, J-M. (1990). Éléments de linguistique textuelle : Théorie et pratique de l'analyse textuelle, Bruxelles/ Paris : Ed. Mardaga.

- Castillo, C.N. (2004). **El discurso religioso : un discurso simbólico. In: http://repositorio.uchile.cl/bitstream/handle/2250/110115/El-discurso-religioso-un-discurso-simbolico.pdf?sequence=4&isAllowed=y**

-Charaudeau, P. & Maingueneau D. (2002). Dictionnaire d'analyse du discours, Paris : Ed. Seuil.

-Pineda, G. (22/8/2013). **Discurso Religioso,** In : https://prezi.com/rzjpb3v6nj1g/discurso-religioso/ Retrieved 10-2-2018.

-Chandès, **G** . (2013). « Stations de radio confessionnelles », *Communication* [En ligne], Vol. 31/1 | 2013, mis en ligne le 06 mai 2013, consulté le 10 février 2018. URL : http://journals.openedition.org/communication/3826; DOI : 10.4000/communication.3826.

- Gros, J.; Meyer, H. & Rusch, W.G. (2000). Growth in Agreement II : Reports and Agreed Statements of Ecumenical Conversations on a World Level, 1982-1998. Faith and order paper Vol 187. Geneva : WCC Publications.

- Larcher, H. (2003). *L'acoustique cistercienne et l'unité sonore,* France : Désiris.

- Maingueneau, D. (1998). Analyser les textes de communication, France : éd. Dunod.

- Raigón Pérez de la Concha, G. (1998). Estructura de la información en la iglesia católica, España: Universidad Murcia.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد:03 السنة: 2021 الصفحة: 546–566 تاريخ النشر: 20–12–2021

- Vargas-López , R.D. (2016). El discurso religioso en la misa católica como forma de control (Análisis del discurso). Universität Gießen (Gießen): Marzo 31, 2016. In : www.geb.uni-iessen.de/.../VargasLopez_El_discurso_religioso_2016. Retrieved Feb. 2018.

- Wuthnow, R. (1992**). Rediscovering the sacred : Perspectives on religion in contemporary society.** Michigan : William E. Eerdmans Publishing Company. Available on: **https://www.religion-online.org/book-chapter/chapter-3-religious-discourse-as-public-rhetoric/. Retrieved on 16 7 2021.**